

المبحث الثاني

في التعرف على شخصية الإمام ابن عادل

المطلب الأول

العصر الذي عاش فيه ابن عادل سياسياً واجتماعياً وعلمياً

شهد القرن التاسع الهجري اضطراباً شديداً في الحالة السياسية في بلاد الشام خاصة ، والبلاد الاسلامية عامة ، لذلك فرضت المماليك سيطرتها على بلاد الشام ، لتقوي كيانها ، الذي بدونها يتعذر على المماليك الاحتفاظ بكيانها وتوازنها.

كانت هذه الدولة من الناحية السياسية ، قائمة على كثرة الفتن والاضطرابات ، من عزل سلطان ونصب آخر غيره ، وثورات داخلية ، وحروب خارجية ، وكانت الأمة الاسلامية تتعرض لتحديات وتهديدات خطيرة ، وتهدد هويتها ، وتتحدى عقيدتها .

اما الحالة الاجتماعية في بلاد الشام فكانت مزرية ، بسبب كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ، لان الحالة الاجتماعية لأي دولة ، انما هي صورة وفرع عن الحالة السياسية ، لنفس الدولة¹ .

¹ اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ، ط ١ ، دارالكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤١٩ هـ : ٣١/١ ، ينظر موسوعة التاريخ الاسلامي لاحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣ م ، ٢٣٥-٢٠٠/٥ ، وينظر : صبح الاعشى للقلقشندي ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩١٣ م : ١٩٦/٤ ، والأدب في العصر المملوكي لمحمد زغلول سلام ، منشأة المعارف : ٦٥/٣٩ .

واما من الناحية العلمية ، فقد ازدهرت الحياة الثقافية بوجه عام في كل من مصر ، الشام ، حتى غدتا كمنارتين من منارات العلم في ذلك العصر ، وقد حفظت لنا كتب التراجم أسماء كثيرة جداً من العلماء لمعت نجومهم في ذلك العصر ، ونذكر هنا بعض من وجد منهم في القرن التاسع الهجري الذي عاش فيه ابن عادل والذي وضع بين ايدينا هذا المؤلف الضخم ، وله حاشية على المحرر في مذهب الامام احمد بن حنبل ، ومنهم سراج الدين البقلي المتوفي سنة ٨٠٥هـ ، وابن الهمام ت ٨٦١هـ ، وغيرهم من العلماء^١ .

١ ينظر اللباب : ١٦/١-٢٠

المطلب الثاني

حياة الامام المفسر ابن عادل الحنبلي

اسمه وكنيته ولقبه .

أبو حفص ، عمر بن علي ، سراج الدين ، الحنبلي ، النعماني^١ ، الدمشقي ، وقد تفرد صاحب السحب الوابلة ، وكناه بأبي الحسن^٢ ، وهذا الكلام هو خلاف ما ذكر وساد بين الناس ، ولا سيما في العصر الذي عاش فيه .

الا أن الأرجح من خلال البحث في كتب التراجم هو سراج الدين .

وأما الدمشقي : فهي النسبة الى دمشق البلدة المعروفة وهي من بلاد الشام.

وأما الحنبلي : فهو انتساب لكثير من العلماء لتتخلهم مذهب الامام احمد بن حنبل ، امام المحدثين ، وصاحب المذهب الفقهي .

وأما النعماني : فهي نسبة الى النعمانية .

والنعمانية : أسم لمدن عديدة ، وهي نسبة الى نعمان ، وضبطها : اما بضم

النون وسكون العين ، أو فتح النون وسكون العين .

١ ينظر: مجلة المجمع العلمي العربي : ٨٣١/٢ ، مقال بعنوان : ترجمة مفقودة للاستاذ راغب الطباخ.

٢ ينظر : الانساب لعبد الكريم السمعاني ، ط١ ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٩٦٢ م : ٢٧٧/٢ .

والنعمانية : مدينة بين بغداد وواسط وابن عادل ينسب اليها ، ذهب الى هذا الكلام محققو اللباب ، وصاحب هداية العارفين^١ .

النعمانية : مدينة في مصر

النعمانية : نسبة الى معمرة النعمان

والنعمان : اسم بلدة في الطائف .

مولده :-

لم تسعفني المصادر والمراجع التي بين يدي ، بشيءٍ عن تاريخ ولادته ونشأته.

ولاعن ظروف حياته الاولى ، وتاريخ أسرته ، الا ان الزركلي ذكر انه كان حياً في سنة ٨٨٠هـ ، وفيها فرغ من تفسير سورة (طه) ، وان دل ، فانما يدل على ان ولادته قبل هذه السنة بزمن^٢ .

شيوخه وتلاميذه :

بالرجوع الى كتب التراجم ، والتاريخ ، الذين كتبوا عن ابن عادل ، لم اجد من يحدثنا عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، ولاعن تلاميذه الذين أخذوا عنه .

١ ينظر : هداية العارفين : ٧٩٤/٥ .

٢ ينظر : معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، مطبعة الترقى، دمشق ، ١٣٧٦هـ : ٣٠٠/٧ ، هداية العارفين : ٤٩٧/٥ ، مقدمة التحقيق للباب : ٢١/١
ينظر ، الاعلام لخير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ط ٢ ، طبعة القاهرة : ٥٨/٥ .

أقوال العلماء في ابن عادل :

تنضح لنا مكانة ابن عادل العلمية من خلال ما وضعه بين ايدينا من كتاب ضخيم حوى من أمهات العلوم.

ولقد نقل محققو (اللباب) ، ثناء بعض النساخ لهذا الكتاب ، اثنوا به على الشيخ الحنبلي ، فنقلوا عنهم أنهم قالوا : (العالم العلامة والبحر الفهامة) (خاتمة وعمدة المدققين) .

كما نقلوا عن بعضهم أنه أنشد :

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهباً لكان البائع المغبونا
أو ما من الخسران أنك آخذ ذهباً وتعطي جوهراً مكنونا^١

ووصفه الزركلي : (صاحب التفسير الكبير)^٢ ، وقال كحالة : (مفسر)^٣ ،
فكونه مفسراً ، يدل أنه كان عالماً باللغة والنحو والصرف والبلاغة
والاصول .. لأن المفسر يحتاج معرفة هذه العلوم^٤ .

مصنفاته :

لم تعنى المصادر والمراجع التي اطلعت عليها معرفة ما ألفه الامام ابن عادل
الا ان بعض المصادر جادت علينا بمعلومات يسيرة عن احد كتبه وهو (حاشية

١ لم اعثر على نسبة هذا البيت الا انه ذكر في (مقدمة اللباب) : ٢٢/١ من غير نسبة لقائله .

٢ ينظر : الاعلام للزركلي : ٥٨/٥ .

٣ ينظر : معجم المؤلفين .

٤ ينظر : اللباب : ٢٢/١ .

على المخر في الفقه^١ على مذهب الامام احمد بن حنبل ، زيادة على التفسير الموسوعي الذي بين أيدينا .

وفاته :

أما وفاته رحمه الله ، فكذلك لم أصل الى شيء الا انه كان حياً سنة ٨٨٠هـ ، الموافق ١٤٧٥م^٢ ، فوفاته بعد هذا التاريخ . والذي يبدو لي والله اعلم انه قد كانت وفاته سنة ٨٨١هـ .

١ ينظر اللباب : ٢٢/١ .

٢ ينظر : الاعلام للزركلي : ٥٨/٥ ، معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر : ٣٩٨/١ .